دعوة للاستثمار في برامج تنمية الطفولة المبكرة

أبحاث جديدة حول البرامج الفاعلة لتنمية الطفولة المبكرة في سياق العمل الانساني

هناك أكثر من مئة مليون نازح قسريًّا في جميع أنحاء العالم، ونصفهم تقريبًا من الأطفال الذين يواجهون ظروف إنسانية صعبة خلال فترة مهمة من نموِّهم . لقد أدى الافتقار إلى برامج تنمية الطفولة المبكرة خلال الأزمات الانسانية إلى تأخّر نموهم، وخاصة مع عدم توافر أبحاث كافية حول أفضل السبل للوصول إليهم وتقديم الدعم اللازم لهم.

وفي خطوة رائدة تُعدُّ الأولى من نوعها، قامت ورشة سمسم (Sesame Workshop)، وبالتعاون مع لجنة الإنقاذ الدولية(International Rescue Committee) بابتكار برنامج «أهلًا سمسم» (Ahlan Simsim) لمعالجة الثغرات الناجمة عن تلك الأزمات الانسانية. يُعدُّ هذا الاستثمار المموّل من مؤسسة ماك آرثر (MacArthur) ومؤسسة ليغو(LEGO) أكبر برنامج لتنمية الطفولة المبكرة في تاريخ الإستجابة الإنسانية؛ حيث يستهدف الأطفال ومقدمي الرعاية لهم، والميسرين المعنيين بتنمية الطفولة المبكرة من خلال تقديم البرامج والموارد والدعم الذي يحتاجون إليه من أجل نموِّهم وتطورهم.

وبما أنّ مبادرة «أهلًا سمسم» في جوهرها قائمة على البحث والتّعلّم، فقد أسهمت مجموعة من «التجارب العشوائية المُحكَّمة»' بقيادة مركز جلوبال تايز للأطفال في جامعة نيويورك (New York University Global TIES) في تسليط الضوء على التدخلات التي قد تُسهم في تحسين التنمية الشاملة للأطفال. **. تشير النتائج إلى مدى فاعلية البرامج عن بُعد في دعم تنمية الأطفال، ورفاه مقدمي الرعاية لهم، وتَعرض مدى تأثير دمج الإعلام الجماهيري مع خدمات تنمية الطفولة المبكرة. تعدُّ هذه النتائج في غاية الأهمية عند تصميم مبادرات حول تنمية الطفولة المبكرة في سياق العمل الانساني وغيرها من السياقات التي لا تتوافر فيها الخدمات الوجاهية.**

لقد وصلت مبادرة «أهلًا سمسم» إلى أكثر من مليون طفل ومقدمي الرعاية لهم من خلال تقديم خدمات مباشرة لتنمية الطفولة المبكرة والتّعلّم المرح في كلٍّ من العراق والأردن ولبنان وسوريا، إضافة إلى أكثر من ثلاثة وعشرين مليون طفل في مختلف أنحاء الشرق الأوسط وشمال إفريقيا عن طريق برنامج «أهلًا سمسم»- النسخة العربية من مسلسل شارع سمسم (Sesame Street)- والحائز على جوائز عدة. ونتيجة لانتشار جائحة كورونا، تمت مواءمة عدد من النماذج الوجاهية لبرنامج أهلًا سمسم لتقديمها عن بُعد. ومن أجل دراسة أثر عناصر البرنامج الرئيسة، قام مركز جلوبال تايز في جامعة نيويورك بقياس تأثيرات البرامج التالية:

- برنامج ما قبل المدرسة المُقدّم عن بعد للأسر اللاجئة من السوريين في لبنان، والذي يستخدم محتوى الإعلام الجماهيري حول تنمية الطفولة المبكرة والممارسات التي يوفرها مقدمو الرعاية.
- أثر برنامج «أهلًا سمسم» التلفزيوني على قدرة الأطفال الأردنيين في رياض الأطفال على التعرّف على المشاعر واستخدام استراتيجيات التأقلم.
- برنامج قائم حصرًا على التواصل مع مقدمي الرعاية من خلال مكالمات هاتفية صوتية تُعنى بدعم الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة، إضافة إلى محتوى يتعلق بالصحة مقدم لكل من الأسر السورية والأردنية في الأردن.

وفيما يأتي تفصيل للتأثيرات الرّئيسة وأهميّتها:

التأثيرات الرئيسة	أهمية هذه النتائج
كان لبرنامج ما قبل المدرسة المقدم عن بعد - والذي دمج موارد الإعلام الجماهيري في منهج يقدمه مقدمو الرعاية - آثار إيجابية كبيرة على الأطفال الصغار: فقد أدى هذا البرنامج والذي يستهدف الأطفال السوريين في لبنان، إلى تحسين مهاراتهم اللغوية والحسابية وتطورهم الحركي والاجتماعي والانفعالي من خلال تفعيل دور مقدمي الرعاية بتوجيه أطفالهم للمشاركة في نشاطات تعليمية منزلية. لم يكن هناك اختلافات في التأثيرات الإيجابية لهذا البرنامج باختلاف الخلفية التعليمية لمقدمي الرعاية، أو مستوى معرفتهم بالقراءة والكتابة.	إنّ هذا يدلّ على قدرة مقدمي الرعاية، وبدعم من المعلمين، وباستخدام موارد الإعلام الجماهيري التعليمية، على تقديم منهج شامل لمرحلة ما قبل المدرسة في المنزل بنجاح. إن هذه الدلالات تفنّد الافتراضات التي تشير إلى عدم قدرة مقدمي الرعاية ذوي التعلّم المحدود على دعم هذا النوع من التعلّم.
المكاسب اللغوية والحسابية الناتجة عن تطبيق البرنامج عن بعد ولمدة أحد عشر أسبوعًا كانت مشابهة للمكاسب التي يحققها الأطفال الذين يشاركون في برامج ما قبل المدرسة الوجاهي على مدار العام: قد يكون التعلم عن بُعد للأطفال الصغار وأسرهم في البيئات قليلة الموارد أمرًا صعبًا، ولكن يدلّ هذا النجاح على أنّ البرامج المقدمة عن بُعد التي تستهدف الأطفال الصغار قد تكون مناسبة لنموِّهم وتطورهم، ومُجدية لهم، خاصة في البيئات التي لا تتوافر فيها إمكانية الوصول إلى الخدمات أو البرامج الوجاهية.	إنّ هذه النتيجة مُهمّة للأسر المتأثرة بالصراعات أو الأزمات المناخية، وحالات الطوارئ الصحية، وللأسر كثيرة التنقل، أو في المناطق الأقل حظًّا والتي لا يكون فيها الذهاب وجاهيًّا إلى برامج ما قبل المدرسة متاحًا على المدى القصير أو البعيد، إضافة إلى أنّها تتحدى الافتراضات التي تشير إلى أن التعلم عن بُعد لا يدعم تعلم الأطفال بشكل كبير.
أسهم البرنامج التلفزيوني التعليمي في تعزيز التطور الانفعالي ومهارات التأقلم لدى الأطفال: «أهلًا سمسم» برنامج تلفزيوني تعليمي تم تصميمه لمنطقة الشرق الأوسط؛ ففي الأردن تعلّم الأطفال كيفية تحديد بعض المشاعر، مثل «الخوف» أو «الإحباط» والتعامل معهما عن طريق تطبيق إحدى استراتيجيات التأقلم والمتمثلة في الوقوف للحظة وأخذ نفس عميق. لم تظهر نتائج البحث أثرًا مشابهًا في تحديد «جميع» المشاعر أو استراتيجيات التعامل معها، والتي من الممكن استكشافها في برامج مستقبلية.	تشكل المهارات الاجتماعية والانفعالية أساس التطور الشمولي للطفل، وهي مهمة بشكل خاص للأطفال الذين عانوا من النزوح والشدائد. تؤكد هذه النتائج على أهمية وسائل الإعلام في تحقيق نتائج اجتماعية وانفعالية إيجابية، والوصول إلى الأطفال على نطاق واسع.
من الممكن تصميم برامج مقدمي الرعاية لتنمية الطفولة المبكرة عن بُعد لتعزيز الصحة النفسية لمقدمي الرعاية: أسهم برنامج التواصل والتعلم عن بعد (Reach Up and Learn) لدعم مقدمي الرعاية في الحدّ من أعراض الاكتئاب التي يعاني منها العديد من مقدمي الرعاية، وتوفر هذه الدراسة أساليبَ جديدة لدعم الصحة النفسية لمقدمي الرعاية، والتي تعدّ مكوِّنًا أساسيًّا من مكونات تنمية الطفولة المبكرة الشاملة. لقد تمّ تدريب المُيسِّرين في البرنامج بشكل خاص على مهارات الإصغاء الفعّال، وعدم إصدار الأحكام، والتي تمّ تطبيقها في أثناء المكالمات الهاتفية. إضافة إلى أنّ العلاقات الإيجابية بين الميّسرين ومقدمي الرعاية كانت من المكونات الأساسية التي أسهمت في نجاح البرنامج والحدّ من أعراض الاكتئاب لديهم.	بالإضافة إلى استفادة مقدمي الرعاية أنفسهم، يُعدُّ انخفاض حالات الاكتئاب بينهم مؤشرًا لتطور الطفل بشكل صحي وسليم على المدى البعيد. تشير هذه الأبحاث إلى أن المكالمات الهاتفية والتواصل مع مقدمي الرعاية يمكن دمجهم بنجاح في البرامج المقدمة عن بُعد لتعزيز صحتهم النفسيَّة.

تصورات إضافية للبرنامج في المستقبل:

البرامج التي يتم تصميمها بشكل يسهل الوصول اليها والتي تحتوي على خيارات المشاركة المرنة، هي أساسية لضمان الوصول للمستفيدين بأكبر قدر ممكن:

استطاع مقدمو الرعاية الوصول إلى محتوى برنامج التعلم المبكر عن بُعد عبر تطبيق الواتساب سهل الاستخدام، أو المكالمات الصوتية التي خوّلتهم المشاركة في البرنامج من أي مكان. تستخدم أنشطة البرنامج المواد المتوافرة في معظم المنازل، مثل الأواني أو الأكواب، أو لا تتطلب أي مواد على الإطلاق، وقد تمّ توفير مواد إضافية خاصة بالبرنامج من قبل البرنامج نفسه، بما في ذلك حُزم بسيطة يمكن استخدامها في نشاطات تنمية الطفولة المبكرة، ومحتوى وسائل الإعلام الرقمية، إضافة إلى تغطية تكلفة المكالمات.

يسهم محتوى الوسائط المتعددة في تعزيز التعلّم في المنزل والمدرسة على حد سواء:

تستخدم مبادرة "أهلًا سمسم" مجموعة متنوعة من الوسائط التي تتضمن برنامجًا تلفزيونيًّا، ومقاطع فيديو قصيرة، وأوراق عمل، وقصص، وغيرها؛ وذلك لتشجيع مشاركة الأطفال بطرق مختلفة في المنزل والمدرسة، مما يعزز نتائج التعلم والتنمية الشاملة عبر المجالات المختلفة. يشير هذا البحث إلى مدى تأثير الجمع بين هذه الوسائط في دعم مشاركة أولياء الأمور وأطفالهم، والتعلم في أثناء تقديم البرنامج، وفي الفترات التي تلي ذلك أيضًا.

بالإضافة إلى الدروس التي يمكن اكتسابها من البرامج المؤثرة، كان هناك دروس أخرى من الممكن الاستفادة منها في المجالات التي لم تكن تأثيراتها قابلة للقياس، ومنها الدروس التالية:

يحتاج الأطفال ومقدمو الرعاية إلى التعرض إلى البرنامج ومحتواه لوقت كافٍ لإحداث التأثير: تعتبر المشاركة في البرنامج بوتيرة كافية عاملاً رئيسًا لنجاحه. وقد تضمن برنامج التعلم المبكر عن بُعد تواصل مقدمي الرعاية والميسرين بشكل يومي تقريبًا (من مكالمتين إلى ثلاث مكالمات هاتفية، ولمدة أربعين دقيقة في الأسبوع، بالإضافة إلى المتابعة بينهما) خلال برنامج دام لأحد عشر أسبوعاً، في حين شاهد الأطفال المشاركون حلقات من برنامج «أهلًا سمسم» لمدة ست وعشرين دقيقة في كل يوم دراسي ولمدة اثني عشر أسبوعًا، وقد ظهرت آثار البرنامجين على الأطفال. لم يتضمن برنامج «التواصل والتعلم عن بُعد» سوى ٧ إلى ١٠ دقائق من محتوى تنمية الطفولة المبكرة من خلال ثلاث مكالمات شهريًّا، ولمدة ستة أشهر فقط، وقد تكون هذه الفترة القليلة غير كافية لإحداث التأثير المرغوب على ممارسات مقدمي الرعاية، أو على تطور الأطفال؛ حيث لم تكن هناك تأثيرات قابلة للقياس على هذه النتائج.

إن تحويل برنامج وجاهي إلى برنامج عن بُعد يتطلب الحفاظ على عناصر أساسية:

لم يكن من الممكن الحفاظ على بعض مكونات برنامج «التواصل والتعلم» الأساسية عندما تم تكييفه ليصبح عن بعد، مستنداً إلى النموذج الصوتي والمكالمات الهاتفية فقط) بسبب جائحة فيروس كورونا: لقد تم حذف العروض التوضيحية، والتدرب على تيسيره، والتغذية الراجعة وذلك نظرًا لاعتماده على النموذج الصوتي. لعلّ أن هذا النموذج لم يعرض أي تأثيرات على سلوك مقدمي الرعاية أو تطور الطفل، ولكنه قد يسهم دمج هذه المكونات من خلال مقاطع الفيديو أو الصور في المحافظة عليها واستخدامها عن بُعد.

البرامج التي تمت دراستها:

التعلم المبكر عن بُعد:

استخدم المعلمون الذين قامت لجنة الإنقاذ الدولية بتعيينهم تطبيق الواتساب للتواصل مع مجموعات صغيرة من أولياء أمور الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين خمس إلى ست سنوات، وذلك ثلاث مرات في الأسبوع على مدار أحد عشر أسبوعًا.

وقد تم تزويد أولياء الأمور بأنشطة تعليمية مَرحة لكي يقوموا بتطبيقها مع أطفالهم لدعم مهارات القراءة والكتابة والحساب، إضافة إلى المهارات الاجتماعية والعاطفية، والحركية لديهم. كما قدم المعلمون روابط لمصادر الوسائط التعليمية، مثل مقاطع الفيديو والقصص والأغاني، إضافة إلى تلقّي الأطفال حزمًا من أوراق العمل والقصص والمواد الفنية، وفي الوقت نفسه تلقى مقدمو الرعاية حزم الإنترنت المدفوعة مسبقًا لتسهيل مشاركتهم.

وسائل الإعلام:

تم تنفيذ هذا التدخل بالشراكة مع وزارة التربية والتعليم في الأردن، ووصل إلى الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين خمس إلى ست سنوات في فصول رياض الأطفال. وقد شاهد الأطفال حلقة من برنامج «أهلًا سمسم»، ولمدة نصف ساعة في كل يوم دراسي، خلال اثني عشر أسبوعًا، بالإضافة إلى مناهجهم العادية.

برنامج التواصل والتعلم عن بُعد:

بعد تدريبهم على مهارات الاستماع الفعّال، وبناء علاقات إيجابية مع مقدمي الرعاية، تواصل عاملون في مجال الصحة المجتمعية مع مقدمي الرعاية للأطفال حتى سن ثلاث سنوات وعلى مدى ستة أشهر لمناقشة أمور عديدة في مجال الصحة، وأهمية تنمية الطفولة المبكرة والوالدية، مثل التفاعلات الصحية بين الوالدين والطفل، والأنشطة المناسبة لهذه الفئة العمرية والتي من الممكن تطبيقها في المنزل.

توضح هذه البحوث مدى التزام برامج تنمية الطفولة المبكرة في الوصول إلى الأطفال الصغار المتأثرين بالصراعات والأزمات، وإرساء القواعد الأساسية للاستثمار والبحث والتوسع في هذا المجال في المستقبل:

الاستثمار: هناك حاجة متزايدة لدعم تنمية الطفولة المبكرة في الأماكن المتأثرة بالصراعات والأزمات حول العالم. من الممكن الاستفادة من هذا البحث من أجل المساعدة في تطوير المزيد من البرامج المماثلة في المستقبل، بما في ذلك البرامج التي يتم تنفيذها عن بُعد، والتي تستخدم الوسائط المتعددة، أو تركز على دعم مقدمي الرعاية. تدلّ هذه النتائج إلى أن البرامج في هذه السياقات ليست ممكنة فحسب، بل قد تكون ذات تأثير ملحوظ، وتُشجِّع الاستثمار في برامج مماثلة مدعومة بالأدلة.

البحث: أسهمت هذه التقييمات في قياس تأثيرات برامج تم اختيارها في سياقات محددة، بينما ساعد البحث النوعي الإضافي في تحديد العناصر الرئيسة لنجاحها. ويضع هذا البحث أساسًا متينًا لإجراء المزيد من الأبحاث؛ ومن الممكن البناء على هذه النتائج لاختبار وتعديل الأساليب المماثلة في سياقات أخرى أو مع فئات سُكانية جديدة.

التوسع: إن استخدام وسائل الإعلام عن بُعد يسهم في وصول برامج تنمية الطفولة المبكرة إلى ملايين الأطفال ومقدمي الرعاية لهم حول العالم، وغالبًا في أكثر البيئات صعوبة. يمكن لهذه الأساليب المبتكرة الاستفادة من مشاركة مقدمي الرعاية من خلال البرامج عن بُعد، واستخدام الوسائط التعليمية من أجل التنمية الاجتماعية والعاطفية مما يسهم في تعزيز تعلم الأطفال في المدرسة والمنزل على حدٍّ سواء، مما يوفر لهم فرصة للتطور والازدهار.

أبحاثنا حول تطور الطفولة المبكرة في أماكن الصراعات والأزمات

إن أهمية تنمية الطفولة المبكرة أمر بَديهيٌّ، ولكن لا تتوافر أبحاثًا كافية حول أنواع تدخلات الطفولة المبكرة التي تثبت فعاليتها في الأزمات والصراعات. وقد أسهم برنامج «أهلًا سمسم» (Ahlan Simsim)، و«إلعب لتتعلم» (Play to Learn) ، في سد هذه الفجوة الكبيرة، علمًا أنَّهما برنامجان رائدان أسهم بابتكارهما ورشة سمسم بالتعاون مع لجنة الإنقاذ الدولية ومنظمة BRAC، وتم إطلاقهما بتمويل من مؤسسة ماك آرثر ومؤسسة ليغو.

وبالتعاون أيضًا مع مركز جلوبال تايز في جامعة نيويورك بوصفه مُقيّمًا مُستقلًا، نعمل على توسيع نطاق قاعدة الأدلة لدينا حول تنمية الطفولة المبكرة في الصراعات والأزمات من خلال استكمال خمس تقييمات محكَّمة لتأثير برامج تنمية الطفولة المبكرة في جميع أنحاء العالم.

إن هذه المشاريع تُشجع على عمل المزيد من الأبحاث واختبار نماذج جديدة للحصول على المزيد من المعلومات التي تتعلق بأنواع وتكاليف الأساليب المختلفة، والتي قد تحقق تأثيرًا لكلٍّ من الأطفال ومقدمي الرعاية لهم، مع التركيز على الأساليب القائمة على اللعب.

للحصول على المزيد من المعلومات والتواصل مع فِرَق المناصرة، يرجى الاتصال بـ:

إيلينا بانين
مستشار السياسات، تنمية الطفولة المبكرة
لجنة الإنقاذ الدولية
Elana.Banin@rescue.org

إيميلي غرين
مدير أول، المناصرة، التأثير الاجتماعي الدولي
ورشة سمسم
advocacy@sesame.org

GENEROUS SUPPORT FROM MacArthur Foundation The LEGO Foundation